ثم نهض قتيبة لغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه وخطبهم خطبة بليغة وقطع النهر فتلقاه
من الطالقان رسل الملوك وهداياهم واتاهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك
وارسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه واقام قتيبة على بلخ لان بعضها
كان عاصيا عليه فقاتل اهلها وسباهم وكان فيمن سبا امراة برمك جد البرامكه فصارت
الى عبد الله بن مسلم اخي قتيبة فواقعها فيقال انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به ثم
غزا قتيبة بيكند وهي ادنى مدن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهي على
راس المفازه من بخارا فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من حولهم فاتوهم
في جمع كثير واخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ
رسول من شهر وابطا على الحجاج خبره فاشفق وعلى من معه من المسلمين فامر الناس بالدعا
وكتب بذلك الى الامصار واقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم
يقال له تندر اعجمي فدفع اليه اهل بخارا مالا على ان يدفع قتيبة عنهم فاتاه فقال
اخلني فاخلى المجلس فقال قد عزل الحجاج عن العراق وهذا عامل جديد يقدم عليك فارجع
بالناس الى مرو وكان عند قتيبة ضرار الضبي فقال قتيبة لغلامه اقتل تندر فضرب
عنقه وقال لضرار والله لئن علم احد بهذا الحديث قبل ان ينقضي حربنا لالحقنك به
فان انتشار مثل هذا الحديث يفت في اعضاد المسلمين ثم اصبح الناس على راياتهم
وانكروا قتل تندر وقالوا كان ناصحا للمسلمين فقال قتيبة ظهر لي غشه فاخانه الله
بذمه ثم تقدم فقاتل وانزل الله النصر على المسلمين فهزموهم ومنح قتيبة اكتافهم
ووصل الى بيكند ففتحها عنوة واصاب بها من الاموال والجواهر ما لم يصبه في بلد
اخر وكان بها صنم فاذابه فخرج منه مائة الف وخمسون الف مثقال من الذهب وكتب
الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى سجستان فارسل اليه صاحبها فصالحه ثم توجه الى خوارزم
وكان صاحبها قد راسله سرا خوفا من اخيه الخارج عليه فصالحه وسلم له اخاه لانه
كان شرط عليه ذلك ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصالحوا الصلح فصالحهم
على الفي الف ومايتي الف في كل سنه وعلى ان يعطوه ثلاثين الف راس ليس فيهم طفل
ولا شيخ وعلى ان يخلوا المدينه لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة فيبني بها
مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فاجابوه فقال ابعثوا الينا ما صالحناكم

عليه

عليه فبعثوا اليه بالمال والروس فقال قتيبة الان ذلوا حين صار اولادهم واخوانهم في
ايدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا واخلوا المدينة وانتخب قتيبة من انجاد فرسانه ودخلها
فاتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وارسل الى اهلها لستم بخارج منها فخذوا ما اعطيتمونا
وكان قتيبة يعير بالغدر باهل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات
يزدجرد فقال قتيبة اترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل ابيه فارسل بها الى الحجا ج
فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه
ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك نسأله عن دينكم فانتدب له عشرة من اشراف
القبايل لهم هيبة وجمال فدخلوا عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم احد فنهضوا
ثم دخلوا عليه في اليوم الثاني وعليهم البيض والمغافر والسلاح كانهم الجبال فسال الملك
احدهم عن صنيعهم امس واليوم فقالوا ذاك لباسنا في اهلنا وهذا في حربنا فقال انصر هوا
الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة اصحابه والا بعثت له من يهلكه ومن معه
فقالوا كيف تقول هذا من اول خيله في بلادك واخرها في منابت الزيتون يعني
الشام وقد غزاك في بلادك ودوخها وسبى وهو في طلبك لا ترد له رايه قال وما
الذي يريد قال انه اقسم ان لا يرجع حتى يطا ارضك ويختم على اعناق الملوك وياخذ
الجزيه فقال الملك نحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل فيها من تراب قصره ود عا
باربعه من اولاد الملوك وبعث مالا كثيرا وقال ليطا هذا التراب ويختم على هذه الغلمه
وياخذ هذا المال ففعل قتيبة ذلك وقرر عليهم مالا وبقي وقد دانت له ممالك
ما وراء النهر واشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغني انه فتح سبعة حصون في المشرق لا
يرتقى اليها فصنع سبعة اصوات صعبة المآخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة واقام
قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث عشرة سنه عظيم الرتبه مرهوب الجانب وكان شرف
بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد بن المهلب حكى
الجاحظ قال بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحايف وقال
للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع له هذه فان شتمني فادفع اليه
الثالثه فلما دفع له الكتاب الاول اذا فيه يا امير المومنين ان بلائي في طاعتك وطاعة
ابيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثاني وفيه عجبا كيف تامن ابن دحه

Copyright © King Saud University